

مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

الآية والحديث لتبرير مو اقف الخلفاء والمسؤولين في دولة الموحدين
.دراسة في كتاب نظم الجمان لمؤلفه ابن القطان .

Verse and hadith to justify the positions of the caliphs and officials in the Almohad state - A study in the book “Nazm al-Juman” by Ibn al-Qattan -

كمال رجالين
جامعة الحاج لخضر. باتنة 1 .(الجز ائر)
مخبر العلوم الإسلامية في الجز ائر تاريخها، مصادرها، أعلامها.
kemel.ridjaline@univ-batna.dz

الارسال: 12/08/2023 القبول :06/12/2024 النشر:05/12/2025 المرسل: كمال رجالين

الملخص

غالبًا ما كانت الكتابات التاريخية ذات الطّابع الإيديولوجي الواجهة الدّعائية لتمرير وتبرير خطابات السلطة المركزية، فتعمدُ في سردياتها إلى إلباس رداء الشرعية لمو اقف السلاطين والخلفاء، في صورة تحمل في طياتها إيحاءات التّزلف والانبطاح والمداهنة، وهذا حال المدونة التر اثية الموحدية الّتي ما فتئت في مضامينها الإكبار بصنائع زعمائها وخلفائها، وطمس مساوئهم وقبائح أعمالهم، ثمّ إنّ هذه الحمولة الدّعائية يُستدلُ لها بآيات رب العالمين تارة، ويُستأنس لها بأحاديث صفيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تارة أخرى، وكل هذا في عمومه منهج لإضفاء المتانة على مو اقف وقرارات رجالات البلاط الموحدي، ولهذا تسعى هذه الدراسة لتتبع طريقة توظيف الآية والحديث في كتابات المؤرخ الموحدي ابن القطان المراكشي (حي سنة 650هـ/1252م)، مراعين في ذلك أسباب الاستدلال وسياقات استحضار هذه النصوص المقدّسة.

الكلمات المفتاحية: الآية والحديث، ابن القطان المراكشي، شرعنة المو اقف والقرارات، المسؤول الموحدي.

Abstract

That was been often the idiological and historical writings in their contents seek to give eligibility and legitimacy to the central authority so we find in these writings what makes the positions and the decisions of the Caliphs and responsibles legitimate and correct , and this is the case of unitary historical writings which in turn seeks to show the merits and the work of these responsibles.

So it hides all their shortcomings and amplificates their achievements and this work is generally based on inference from the HOLY Quran Using the HADITHS of the prophet MUHAMMED peace be upon him, For this therefore this study follows the verses and the Hadiths in the writings of the historian IBN Al Qattan Al Mrrakshi (650 hijri 1252 AD), focusing on the reason for inferring these sacred texts and the different temporals contexts for this inference.

Keywords: verses and hadiths _ IBN Al Qattan Al Mrrakshi _ legitimate decisions _ unitary responsible

مقدمة

قامت دولة الموحدين في بلاد الغرب الإسلامي على أسس الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، متخذتاً الكتاب والسنّة وفهم مهدي الأمّة ـ ابن تومرت ـ المرجع الأساس في منهجها الإصلاحي، كما أنّها شكلّت من القبائل المصمودية وغيرها سنداً يُقوّي شوكتها ويحمي بيضتها ضدّ نظيرتها المرابطية كعدوها الأول في معركتهم الإصلاحية والتّوسعية، ولم تقتصر مهام السلطة الموحدية في مشروعها على جانب القوة والسلاح، بل شكّلت ترسانة دعائية إشادية تعمل في الأساس على رسم صورة نمطية للحدث التاريخي، فتجعل التّبجيل والتّقديس لكل ما يمت للطّرف الموحدي بصلة، وفي مقابل ذلك تسعى لتشويه صورة الخصوم، بترديد مقولات التّفسيق والتّبديع، والتّكفير، والتّجسيم، فمارست بذلك أسلوبًا إيديولوجيًا أخلّ بالحقيقة التاريخية من جهة، وأوقع عديد الباحثين في مستنقع الميولات والتّحيزات لطرف على حساب آخر.

إنّ إفعام هذه النّصوص التاريخية الموحدية بالآية والحديث من أصحابها خاصة ابن القطان ـ أنموذج الدّراسة ـ أضحى السّمة البارزة في كتابات هؤلاء المؤرخين، فقد كانت تمثل هذه النصوص البرهان القاطع للأجدرية والأحقّية الموحدية، كيف لا؟! وفي مبتدئها قال الله، وقال الرسول ﷺ، في دلالة صريحة على صدق القول، رغم ما يشوبه من التباس وتزيّيف للحقائق، ولهذا كان من المناسب في هذه الورقة الإجابة على هذه الأسئلة:

إلى أي مدى كان الانسجام بين النّص الشرعي المورود والحدث التاريخي المشهود؟

هل حقّقت الآية والحديث في سرديات ابن القطان إضافة علمية في رسم المشهد التاريخي؟

هل كان ابن القطان ذا مُكنة إلى حدّ إصدار أحكام شرعية، تساير ذلك السياق الزماني، أو أهلية لإقرار أحكام ابن تومرت (ت524هـ؟/1160م؟)؟.

إنّ التّماشي الأمثل مع طبيعة الموضوع يستدعي انتهاج المنهج التاريخي ذي الآليتين الاستقصائية والتحليلية، وهذا قصد تتبّع طريقة توظيف ابن القطان (حي سنة 650هـ/1252م) للآيات، واستحضاره للأحاديث المبثوثة في مصنّفه المسمّى**"نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان"** ثمّ الخلوص بعد تحليل مختلف المعطيات إلى اجابات على الإشكالات المطروحة.

1: مؤرخو البلاط الموحدي وأهم مؤلفاتهم

إنّ الحديث عن الكتابات التاريخية زمن دولة الموحدين لحديث عن نموذج خاضع لإملاءات السلطة المركزية، فلا تستطيع هذه النماذج في مجملها تصوير المشهد التاريخي كما وقع، بل تسعى دائما لتلميع صورة البلاط

الموحدي، ولعلّ هذا الّذي نقرأه في الموجود من المؤلفات أو المفقود منها، فكثيرة هي المصنّافات المفقودة الّتي حملت صبغة التاريخ الموجّه؛ والّتي وقعت في براثين التّحيز والدّعاية، وهذا الملاحظ في بعض النقول المبثوثة في مختلف المصادر الّتي لم يطلها الضياع أو الخرم، أو على الأقل حفظت لنا بعض الأجزاء أو الأسفار من مجملها.

1.1: الكتابات المفقودة

كثيرة هي الكتابات التاريخية في العصر الوسيط الّتي لم تر نور التّحقيق والتّدقيق، أو أنّها عُدّت من الكتابات المفقودة الّتي غاصت في مجاهل النسيان، فلم تر نور الطبع، وحرم القارئ والباحث من اكتشاف محتواها، ومن بين هذه الكتابات المعاصرة لزمن الموحدين: كتاب **"نظم اللآلئ في فتوح الأمر العالي"** للأشيري (ت569هـ/1174م)[1]، وكتاب **"فضائل المهدي"** لأبي القاسم المؤمن[2] وكتابات ابن بجير، وابن غمر[3].

كما أنّ عديد الكتابات التاريخية ذات الطابع الحولي شهدتها حقبة الموحدين؛ والّتي يُستبعد أن تكون معادية للسلطة الحاكمة، هذا إن لم تكن موالية طائعة تمارس الإملاءات الصادرة من أولي الحكم، ومن هذه الكتابات المفقودة أيضا، ما جمعه الأستاذ لخضر بولطيف[4]، والّتي أعدنا تصنيفها على النحو التالي:

1.1.1: تواريخ عامة: ومن هذه الكتب:

."المقتبس في أخبار المغرب وفاس والأندلس" لأبي عبد الله بن حمادة، البرنسي (حي 550هـ/1155م).

."المقباس في أخبار المغرب والأندلس وفاس" لمروان عبد الملك بن موسى، الوراق (حي سنة578هـ/1182م).

."ميزان العمل في أيام الدّول" لأبي علي الحسين، ابن رشيق (ت677هـ/1278م).

2.1.1: تواريخ خاصة بدولة الموحدين: ومن هذه الكتابات والمقالات:

.كتاب عبد الرحمان بن عبد الله، السهيلي (ت581هـ/1185م).

.كتاب لابن سميرة (حي سنة 600هـ/1204م).

.كتاب "**المغرب في أخبار المغرب**" لأبي التّقي طاهر بن عبد الرحمان (حيّ سنة 625هـ/1228م).

وممّا يحفظه لنا عبد الملك المراكشي من مؤلفات ابن القطّان المراكشي (الأب)[5] كتابات عدّة، لكنّها تبدو في عناوينها أقرب لشأن الموحدي وهي: مقالة في الإمامة الكبرى، ومقالة في معاملة الكافر؛ جمعها للخليفة الموحدي النّاصر حين وفد عليه ملك ليون.

1 . 2: الكتابات الموجودة: تزخر الحقبة الموحدية بعديد الكتابات التّاريخية الّتي تناولت في عمومها الشأن السياسي والحربي، وأرّخت لأولي الوجاهة والقوة، وفيما يلي عرض لأهم المصنّفات الّتي كانت تمثل الرواية الرسميّة للسلطة الموحدية.

1.2.1: نموذج البيذق[6] (ت555هـ؟/1160م؟): لقد كان أبو بكر الصنهاجي المكنّى "بالبيذق"[7] من أوائل المبايعين لابن تومرت[8] كما اعتبر الخادم المطيع، والمؤمن الصادق بعصمة ومهدوية هذا الأخير[9]، أو قل: "كان تومرتيا صرفاً"[10]، كيف لا؛ وهو الّذي حمل القلم والسيف[11] من أجل نصرة مهديه.

لقد وُجد للبيذق مؤلفان مسخران لخدمة الأجندة الموحدية؛ أمّا الأول فيحمل عنوان: **"أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين"** . وهو مبتور الأول . والثاني هو **"المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب"**، وكلا المصنّفين تمجيد وتقديس لابن تومرت ومذهبه، وقصص للأساطير والخيال أقرب منها للحقيقة[12]، فلا تجد ما لا يخدم ابن تومرت وصورته، بل صوّره البيذق على أنّه مؤدب ناصح أمين، آمر بالمعروف ناه عن المنكر، محارب للبدع[13]، عالم يُقصد[14]، ومجادل بارع لا يُردُّ له قول[15]، وكل هذا إعلاء لكلمة ابن تومرت، وإبراز لعصمته ومهدويته[16]، ومحاولة لإظهار أجدريته أمام خصومه خاصة المرابطين منهم.

سعى البيذق في مختلف سردياته إلى طمس صور الضعف والانهزام، ومحطّات الانكسار عند ابن تومرت فتجده لا يكمل سرد الواقعة الّتي تكون عاقبتها سيئة خادشة لصورة المنزّه المعصوم[17]، بل يتحرى ويركّز على مناسبات الجرأة والحزم، وإظهار صور الجّد في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، وابراز مواطن الورع والتقوى في الخلوات.

2.2.1: نموذج ابن صاحب الصّلاة[18] (حيّ سنة 594هـ/1198م)

اعتبر السفر الثاني من كتاب المنّ بالإمامة الّذي . لم يطله التّلف والضياع . "من أبرز الوثائق الّتي تتحدث عن التّاريخ الموحدي حديث معاينة ومشاهدة"[19] . هذا من الناحية المعرفية والاستحقاق العلمي . أمّا من الناحية الموضوعية فلم يكن ابن صاحب الصلاة أقلّ شئناً من البيذق في تملقه ومداهنته للبلاط الموحدي، وإنّ أُولى الإشارات الدّالة على ذلك عنوان مصنفه؛ **"كتاب تاريخ المنّ بالإمامة على المستضعفين، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين، وما في مساق ذلك من خلافة الإمام الخليفة أمير المؤمنين وأخير الخلفاء الراشدين"**[20]، وأولى المغالطات الّتي من شأنها الدّعاية وجلب الاستعطاف؛ أنّ الموحدين كانوا مستضعفين! ولكنّ المعطى التاريخي يثبت عكس ذلك، بل إنّ المرابطين ومن شدّ على يدهم كانوا هم المستضعفين المقهورين، وكان الطرف الموحدي هو المعتدي الظالم.

كما حوى هذا المصنّف على عديد صور المغالاة ولإطراء في المدح[21]، وتنوّعت عبارات التّرضي والدّعاء والثناء[22]، وظلّ ابن تومرت إلى ما قبل خلافة المأمون بن المنصور (624 . 629هـ/1226 . 1231م) يُذكر بالدّعاء والمهدوية والعصمة، فلم يُنزع منه رداء القداسة، وهذا الّذي كان عليه ابن صاحب الصلاة أيضًا، ويظهر ذلك في عدّة مناسبات في كتابه المن بالإمامة[23]، وهنا وجب الإشارة إلى أنّ دافع الموالاة عند ابن صاحب الصلاة لكل ما هو موحدي بالدّرجة الأولى كان نبعه الإيمان الصادق بالمشروع الموحدي في بلاد الغرب الإسلامي.

3.2.1: نموذج عبد الواحد المراكشي[24] (ت647هـ/1249م)

لم يكن بأي حال من الأحوال الاختلاف كبيرًا بين عبد الواحد المراكشي ومن سبق ذكرهم من المؤرخين في التعاطي مع الأحداث التاريخية الخاصة بالفترة الموحدية، اللّهم ان استثنينا دوافع الكتابة عند عبد الواحد وغيره من المؤرخين؛ باعتبار أنّ هذا الأخير قام بكتابة معجبه تلبية لطلب أحد وزراء الخليفة العباسي الناصر لدين الله أبي العباس (522.575هـ/1180.1225م)[25].

ثمّ إنّه من غير المعقول أن يسلم من فخاخ التّزلف والمداهنة من اتّخذ من الكُتّاب[26]، وأبناء الخلفاء[27]، والقضاة[28] أصحابًا، **ويتلقى** من الولاة أموالا[29]، ويكون جليسًا خاليًا بين يدي الخليفة أبي يعقوب يوسف المستنصر (611 . 620هـ/1313 . 1324م)، فأكيد أنّ هذا سيؤدي ضرورة إلى الاصطفاف في الصّف الموحدي الخادم لأجندته، حتى وإن ادّعى عكس ذلك[30].

صحيح أنّ عبد الواحد المراكشي لا يذكر في مصنّفه ابن تومرت بالعصمة أو المهدوية، وتفسير هذا عائد إلى احتمالين:

أوّلهما: عدم اقتناعه بما أتى به ابن تومرت من ادعاء للعصمة والمهدوية، وكذا المنهج الإقصائي الإلغائي الّذي سلكه ابن تومرت مع كل مخالف له تحت غطاء التجديد ونبذ التقليد.

ثانيهما: ممارسة التّقية باعتبار تواجده في الدّيار المشرقية والّتي لا تذهب مذهب ابن تومرت في الاعتقاد، وهذا تحصيناً لنفسه قصد كسب السّمعة والمكانة، لكن هذا لا يعني تملّصه من النّفس الموحدي، فقد تجلّت في نصوص مصنّفه عديد صور الدّعاية والإشادة، ومثال هذا نقرأه فيما أورده من ذكره لصور الرعاية الإلهية لابن تومرت[31]، وكذا سرد قصة ـ إشارة للبطولة والفداء ـ تحاكي ما وقع للنّبي الأعظم محمد صلّى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب ﷺ وأرضاه مع كفار قريش؛ على أنّها حدثت للخليفة عبد المؤمن بن علي مع أحد أصحابه أيضا[32].

وتُلاحظُ موالاة عبد الواحد للبلاط الموحدي في وصفه للخليفة أبي يعقوب (611.620هـ/1313.1324م) فيورد أنّه رأى "كل من يعرفه من خواص الدّولة قد ملئ قلبه منه رعبا؛ لما يعلمون من شهامته وشدّة تيقظه"[33]، ثمّ يورد بعض الذي رآه منه يوم التقى به في غرّة سنة (611هـ/1313م)، فيقول: "فرأيت من حدّة نفسه وتيقظ قلبه وسؤاله عن جزئيات لا يعرفها أكثر السّوق فكيف الملوك ـ ما قضيت منه العجب"[34]، فيُستبعد أنّ الذي حضر حضرة الخليفة أن يكتب ما يُضاد ويُخالف فكر ونهج وسلوك الخليفة، وهذا الذي وقع فيه عبد الواحد المراكشي، مع الخليفة وغير الخليفة في معجبه.

إشارات هامة

صحيح أنّ كل هذه المغالطات والتضليليات الدّعائية كانت على حساب الحقيقة التاريخية، الّتي لم يلتزم بها مؤرخو البلاط الموحدي، فصّورا المشهد بنمطية خادمة للإيديولوجية التومرتية، بعيدًا عن الّصدق والأمانة،

ويُفهم الأمر إذا ما قوبل بالسياق التأسيسي لدولة الموحدين؛ وما عرفه من صراعات مع المرابطين، ومحاولة إثبات الذّات، والانتصار للتّوجه والمذهب وهذا الملاحظ عند أغلب المؤرخين في كتاباتهم، أضف إلى ذلك أنّ الاستفادة من المزايا والعطايا والاقتيات من موائد البلاط كان دافعاً مغرياً لتصميم النّصوص حسب الإملاءات السُلطوية، ولكن هذا ليس بالمدعاة إلى التّخلي عمّا ورد في هذه المصنفات المؤدلجة ـ نظرا لما لها من إضافات نوعية وأسبقية زمنية ـ بقدر ما هو مدعاة لتحري الحقيقة قبل التّصديق أو الجزم لما ورد فيها من معطى أو خبر.

2: النّصوص الشرعية في مُؤلف نظم الجمان

يعتبر ابن القطّان المراكشي **(حيّ سنة 650هـ/1252م)**[35]، من أهل اليراع الخُلّص لابن تومرت بصفة خاصّة ودولة الموحدين بصفة عامة، بحيث يظهر ذلك في مختلف سردياته التي سلكت مسلك التاريخ الموجّه، الرامية إلى إبراز تلك الصورة النّمطية الخادمة للسلطة والسلطان الموحدي، فالمتتبع للدّلالات اللّفظية الواردة في كتاب نظم الجمان، يتأكد يقيناً بالإيمان الصادق الذي عاشه ابن القطان تجاه الموحدين ودولتهم[36]، فصحّ القول أنّ سردياته كانت تاريخًا بلاطيًا خالصًا، ولا عجب في ذلك فقد سار مسار والده علي بن محمد بن عبد الملك (ت628هـ ـ 1231م) والمعروف بابن القطان والمكنّى بأبي الحسن[37]، والذي "نال بخدمة السلطان دنيا عريضة"[38].

ومن صور الإطناب في المدح عند ابن القطان والّتي خصّ بها الموحدين ما نقرؤه في كتابه "نظم الجمان"، الذي قال فيه عن ابن تومرت أنّه "كان محبًا في الحقّ، مؤثرا للصدق، وكذلك قام بإحياء الحقّ والحقّ إذ ذاك غير موجود العين .. وكان محباً في العدل وأهله، ومبغضاً في الظلم وأصله..قوي العزيمة على الشيء الّذي يرى أنّه ينبغي أن يفعل جسورا، لا ضعيف النّفس ولا خائفًا محسورا.."[39]، كما يرى أنّ الهجرة إلى حضرة ابن تومرت "واجبة لا يحول بينها وبين أحد من المسلمين أهل ولا ولد ولا مال، وأنّ من سمع بأمره وجبت عليه الهجرة إليه، ولا عذر له بوجه من الوجوه، ويكفر من لم يصلّ عليه.."[40] وفي حقّ عبد المؤمن يقول: "أحيا الحقّ وأعلى مراسمه، وأقام مراسم العدل ومواسمه، وخضد الباطل وقطعه، وقمع شرذمته وشيعه، حتّى على منارة الهدى وارتفع، وبهر نوره وسطع، وانقطعت حناديس الظلم وغياهبه"[41].

كما لا يجد ابن القطان حرجًا في تفعيل نصوص القرآن والحديث لإثبات مهدوية ابن تومرت[42]، أو لقدح وشتم المرابطين[43]، ـ في صورة الملثمين "شبيهي النساء" ـ[44]، فقد كان نقل الاستدلالات القرآنية والحديثية الّتي أُثرت عن ابن تومرت منهج ابن القطّان في إثبات ظلال وكفر المرابطين، وعليها المتكأ لشرعنة القتال ضدّهم[45]، وهذا الّذي سنتطرق إليه بنوع من التفصيل فيما يلي.

1.2: الآية القرآنية في سرديات ابن القطان المراكشي

تعرّف الآية في عمومها على أنّها "طائفة من القرآن لها مبدأ ومقطع، مندرجة في سورة"[46]، يتّخذها الإنسان وفق ضوابط وشروط مُرتكزًا لفهم سنن الحياة، ومصدرًا لاستنباط الأحكام وفهم سرّ الوجود، كما أنّها تكون دليلًا وبرهانًا لكل من أراد إثبات القول وصحّة الكلام، لكن كل هذا يستدعي شرطين أساسيين؛ أوّلهما: فهم الواقع

والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتّى يحيط به علمًا، أمّا الشرط الثاني والّذي لا يقلّ أهمية عن الأوّل فهو : فهم الواجب في الواقع، بمعنى؛ فهم حكم الله الّذي حكم به في كتابه، أو على لسان رسوله في هذا الواقع، تمّ يطبق أحدهما على الآخر[47]، وإنّ هذه الشروط لتكون عند أهل المُكنة والنّهى، وليست معطًى مستساغًا لكل من أراد وشاء.

إنّ المتتبع لإسقاطات الآيات في النّص التراثي الموحدي يلاحظ الكمّ الهائل منها، فتتعدّد التوظيفات بتعدّد السياقات والظروف، وفي نموذج ابن القطان مثال حيّ على ذلك:

1.1.2: الآية للانتقاص من الخصم المرابطي: اتّخذ ابن القطان المراكشي عديد الآيات ـ على لسان مهديه[48] ـ لمهاجمة الخصم المرابطي من جهة، وتقوية الصّف الموحدي من جهة أخرى، فقد كان يرى في المرابطين "أنّهم كفّار ومنافقون ومتّبعو الهوى ومعتدون ومفسدون وجاهلون"[49]، مستدلًا على ذلك بجملة من آيات رب العالمين على نحو: **{وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّار}** هود: 113، في دعوة صريحة لساكنة المغرب الأقصى بعدم تقديم فروض الولاء لدولة المرابطين، ومن مثيل هذه الأيات أيضًا:

قال تعالى: **{لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَه}** المجادلة: 22.

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّة}** الممتحنة: 1.

قال تعالى: **{وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ}** المائدة: 51.

قال تعالى: **{وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}** الممتحنة: 9.

قال تعالى: **{وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُون}** الجاثية: 18.

2.1.2: الآية لإطلاق سهام الكفر والنّفاق على الخصوم المرابطين

كما أشار ابن القطان في عديد المواضع بكفر ونفاق المرابطين، ومن جملة هذه الآيات المُستدل بها:

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِين}** آل عمران: 149.

قال تعالى: **{وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِين}** الأحزاب: ١.

3.1.2: الاستخفاف والمعايرة بالخصم المرابطي

وفي عديد المواضع يشنّع ابن القطان على خصومه المرابطين؛ فتارة باتباعهم الهوى، أو أنّهم مفسدون في الأرض مسرفون، أو أنّهم غير صالحين مقترفون لأشنع الذنوب؛ كالمشي بالنّميمة ومنع الخير وكثرة الحلف، وهذا ما نستنتجه من إيراده لهذه الآيات في حقّ خصومه:

قال تعالى: **{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}** الكهف: 28.

قال تعالى: **{وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ (13) }** القلم[50].

قال تعالى: **{وَلَا تُطِيعُوا أَمرَ الْمُسرِفِينَ الّذِينَ يُفسِدُونَ فِي الأَرضِ وَلَا يُصلِحُون}** الشعراء: 152.

4.1.2: الدّعوة لقتال ومجابهة العدو المرابطي

كما استعمل ابن القطان في مصنفه آية تدعوا الموحدين إلى مقاتلة المرابطين الكفار مستدلًا على هذا بقول الله عزّ وجل: **{يا أيّهَا الّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِوَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً}** التوبة: 123 [51].

5.1.2: الآية لتبرير جرائم ابن تومرت

لم تكن تبريرات ابن القطان مقتصرة على فهوم وطروحات ابن تومرت تجاه المرابطين ودولتهم، بل تعدّت إلى تبرير واحدة من أشنع الجرائم الّتي شهدها تاريخ المسلمين ألا وهي حادثة "التّمييز"[52]، وذلك بالاستدلال على شرعية هذه الجرائم بهذه الآيات:

قال تعالى: **{لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}** الأنفال: 37.

قال تعالى: **{مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُون}** آل عمران: 11 [53].

لقد سعى ابن القطان إلى نقل كل ما ثبت عن مهديه ابن تومرت، ونقل كل استدلالاته، والّتي يرى فيها الحقّ وكل الحق في تجسيد المنهج الإصلاحي، ضارباً عرض الحائط أساليب الدّعوة الحكيمة، ومنهج اللّين والرفق في المعاملة، بل كانت القسوة والعنف، والتّعريض بالخصوم السّمة البارزة في تجربة الموحدين ببلاد الغرب الإسلامي.

2.2: الأحاديث النبوية في سرديات ابن القطان المراكشي

لقد كانت سرديات ابن القطان المراكشي ثرية بأحاديث النّبي صلى الله عليه وآله وسلّم ـ والّتي كانت تتكرّر على لسان ابن تومرت ـ فقد استأنس بعديدها لتدعيم أفكاره وتمتين أقواله، خاصة الّتي لها اسقاطات على دولة المرابطين وخلفائها، مُتهمًا مُتهجمًا حينًا، ومُعايرًا مشنّعًا في الحين الآخر، وفيما يلي عرض لمختلف النّصوص الحديثية الّتي أوردها ابن القطان مستغلًا إيّاها في مختلف السياقات.

1.2.2: أحاديث في وصف واقع المجتمع المرابطي من راعٍ ورعية

يورد ابن القطان أحاديث يصف فيها المجتمع المرابطي وينسب إليهم عديد الأوصاف الّتي تحمل في ثناياها صورة سوداوية؛ من سوء الأخلاق، والبعد عن شرع رب العالمين، ومن هذه الأحاديث[54]:

قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النّار لم أرهما: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النّاس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلنّ الجنّة ولا يجدنّ ريحها**»[55]، وهذا حديث يشير في عمومه إلى الواقع الاجتماعي الّذي شهدته نهاية الحقبة المرابطية؛ من التّزين

الفاضح للنّساء، واختلاطهنّ بالرجال[56]، وفي نفس السياق يورد عبد الواحد المراكشي نصًا غاية في الأهمية يصف فيه أحوال دولة المرابطين، على أنّها قد اختلت اختلالًا شديدًا بعد السنة الخمسمائة [أي في ولاية أبي الحسن علي بن تاشفين] "فظهرت في بلاده مناكير كثيرة؛ وذلك لاستلاء أكابر المرابطين على البلاد، ودعواهم الاستبداد.. فصار كلّ منهم يصرّح بأنّه خير من عليّ أمير المسلمين.. واستولى النّساء على الأحوال، وأُسندت إليهم الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشريرٍ وقاطع سبيل وصاحب خمر وماخور، وأمير المسلمين في ذلك كلّه يتزيَّدُ تغافله، ويقوى ضعفه.. وأهمل أمور الرّعية غاية الإهمال.."[57].

ومن الأحاديث الّتي تصب مصبّ الحديث السابق، نجد هذين الحديثين:

«إن طالت لك مدة أوشكت أن ترى قوم يغدون في سخط، ويروحون في لعنة، في أيديهم مثل أذناب البقر سياطا كانت عندهم ليست عند أحد سواهم»[58].

أمّا الحديث الثاني[59] فهو في .معنى قول .النبيّ الأكرم محمد صلّى الله عليه وآله وسلم:

«أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي فمن غشي أبوابهم وصدّقهم على كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد الحوض عليّ»[60].

2.2.2: حثّ الموحدين للصبر على دينهم وتحذير المرابطين المجسمين الّذين ارتدوا وبدّلوا دينهم

ومن الأحاديث الّتي ساقها ابن القطان في هذا الموضوع؛ ثلاثة أحاديث، أوّلها[61]: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . في معناه . : **«وَدِدْتُ أنّي قد رَأيتُ إخوانَنا. قالوا يا رسولَ اللَّهِ، ألَسنا إخوانَكَ؟ قالَ: بل أنتُمْ أصحابي وإخواني الَّذينَ لم يَأتوا بعدُ وأنا فرَطُهُم على الحَوض لَيُذادَنَّ رِجالٌ عن حَوْضِي كما يُذادُ البَعِيرُ الضَّالُّ أُنادِيهِمْ ألا هَلُمَّ فيُقالُ: إنَّهُمْ قدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فأقُولُ سُحْقًا سُحْقًا»**[62]. أمّا الثاني[63]: **«بادروا بالأعمال الصالحة، فستكون فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا»**[64].

أمّا الثالث[65] فقد أورد ابن القطّان معنى لحديث النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، فكانت مفرداته على النّحو التّالي: **«الحب والبغض في الله من علامات اليقين»**[66].

3.2.2: اتهام فقهاء المرابطين بالضّالين المضلين

وهذا الّذي نقرؤه في الحديث الّذي ساقه ابن القطان محذّرا فيه المسلمين من اتّباع فقهاء المرابطين الّذين كانوا يُفتون حسب أهوائهم .من منظور ابن القطان ومهديه ابن تومرت .وهذا نصّ الحديث[67]، قال صلّى الله عليه وآله

وسلّم: «**لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من النّاس، ولكن يقبض العلم لقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالمًا اتّخذ الناس رؤساء جهالًا، فسألوا فأفتوا بغيرعلم فضلوا وأضلوا**»[68].

4.2.2: تشبيه المرابطين بالنّساء

بعد أن أخبر بتّلثم المرابطين قال فيهم أنّهم شبهٌ للنّساء[69]، وأنّهم ممن شملهم لعن النّبي صلّى الله عليه وعلى آله وسلم، لتشبههم بالنساء، وما هذا النّقاب في حقيقة الأمر إلّا لثام على الوجه فرضته الأعراف الاجتماعية والظروف الطبيعية[70]، ولكن ابن القطان استأثر النّزعة الإيديولوجية التومرتية على الحقيقة التّاريخية، ولهذا ينقل ويبرر أحكام ابن تومرت، بإيراد إشارة صريحة[71] إلى حديث النّبي ﷺ: «لعن الله المتشبهات من النّساء بالرجال، والمتشبهين من الرجال بالنساء»[72].

5.2.2: الدّعوة لقتال المرابطين

ففي مقابل الآية الّتي أوردها ابن القطان في وجوب مقاتلة المرابطين، نجد له حديثًا كذلك[73]، ومتنه كالآتي: يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**على المرء السمع والطّاعة، أمرت أن أقاتل النّاس حتى يقولوا لا إله إلّا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلّا بحقّه وحسابه على الله**»[74].

6.2.2: تشبيه الموحدين بالحواريين والمرابطين بالكفار المنافقين

استقطب ابن تومرت عديد الأتباع[75]، لدهائه المنقطع النّظير، وقد تعدّدت أساليب الدّعاية والاستقطاب، ومن بينها فصاحة اللّسان والبيان[76]، فكثيرًا ما يُغري الجموع بفطنته وحنكته، وفيما يلي حديث نقله ابن القطّان عن ابن تومرت يشبّه فيه أصحابه بالحوارين[77] أتباع الأنبياء والمرسلين، ويشبّه فيه المرابطين بالمنافقين، قال صلى الله عليه وسلّم: «**ما من نبي بعثه الله في أُمَّةٍ قبلي إلا كان له من أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وأَصْحَابٌ يأخذون بسُنته ويَقْتَدُونَ بأَمره، ثم إنها تَخْلُفُ من بعدهم خُلُوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤْمَرُونَ، فمن جَاهَدَهُمْ بيده فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردل**»[78].

ملاحظة: غالباً ما كانت الأحاديث النّبوية الواردة في كتاب نظم الجمان لصاحبه ابن القطان المراكشي، مضطربة المبنى، وهذا الّذي دفعنا لإعادة تخريجها في التهميشات أدنى المتن.

خاتمة

حقيقٌ القول أنّ البحث التاريخي من أصعب البحوث في ميدان العلم والمعرفة، وهذا يعود في الأساس إلى غياب المشهد والحدث أمام عين الباحث، وإنّ ما يزيد من صعوبته أكثر هي التّوجهات المختلفة الّتي ينحوها رواة الخبر في مدوناتهم ومصنفاتهم، كما كان الحال مع ابن القطان المراكشي الّذي سخّر قلمه للدّفاع عن ابن تومرت وصنائعه، فاستعان بالآية والحديث وحتّى الشعر لإلباس قرارات مهديه لباس الشرعية، دون مراعاة للآيات

ومقاصدها، ولا تفقّهٍ في الواقع وخصوصياته، مشبّها خصومه بالكفار والمنافقين والمشركين، دون إلقاء بالٍ للأحكام والتّهم والتّشنيع الصادرة منه تجاه المرابطين، الّذين يستقبلون قبلته، ويُدينون بدينه، فكان هدفه إعلاء الرّاية الموحدية، والانتصار للمذهب والتّوجه.

لم يكن التوفيق حليف ابن القطّان في عرض الآيات والأحاديث ومحاولة استغلالهما في رسم المشهد التاريخي، ولعلّ هذا عائدٌ في الأساس إلى سوء الاستدلالات والإسقاطات المنقولة عن ابن تومرت، أو فشله في فهم الصراع الموحدي المرابطي، وانضوائه تحت مظلة البلاط الموحدين، فاستأثر في ذلك الذاتية والتوجه على الموضوعية والحقيقة التاريخية، ولكن هذا ليس بالمدعاة إلى التّخلي عما ورد في هذه المدونة، نظرًا لما تنفرد به من أسبقية زمنية، ومادة تاريخية يصعب على الباحث في تاريخ الموحدين والمرابطين الاستغناء عنها.

المراجع

القرآن الكريم

1 . نقل عنه ابن عذارى المراكشي في بيانه، وهذا خلال ذكره لحروب الموحدين والمرابطين. يراجع: ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد معروف، محمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، (ط1)، 2013م، 99/3.

2 . نقل عنه ابن القطّان في ذكر فضائل المهدي بن تومرت. يراجع: ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، تونس، (ط2)، 1990م، ص62.

3 .وكذلك من نقول ابن عذارى عن مؤرخي الفترة المتقدمة من تاريخ الموحدين، ما يذكره في حروب الموحدين والمرابطين نقلاً عن ابن بجير. براجع: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، 99/3.

4 . أستاذ التاريخ الوسيط بجامعة المسيلة، وصاحب مشروع المدرسة القيمية رفقة ثلّة من الأساتذة وطلبة الدكتوراه. أمّا بخصوص ما أورده من الكتب المفقودة فيراجع: مقدمة كتابه **فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي**، المعهد العال ي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، (ط1)، 2009م.

5 . عن سيرة ابن القطان الأب ومختلف تآليفه، يراجع: عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح: محمد بن شريفة، الرباط، المغرب، 1984م، السفر رقم: 8، رقم: 10، ص165 . 195.

6 . كل التفصيل حول حياة وتسمية البيذق نقف عليها في رسالة الماجيستير لأمل رباحة، **اتجاهات الكتابة التاريخية في العصر الموحدي (541 . 668هـ/1146 . 1270م)**، إشراف: الدكتور الحاج عيفة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة غرداية، 2016/2015م، ص57 وما بعدها. كمال رجالين، رضا شعبان، **التأديب والعقاب عند ابن تومرت من خلال كتاب أخبار المهدي للبيذق (ت555هـ؟/1160م؟)**، المجلة التاريخية الجزائرية، مخبر الدراسات والبحث في الثورة الجزائرية، جامعة المسيلة، المجلد: 6، العدد: 2، ص257..260.

7 . نقرأ كنيته الّتي أقرّها بنفسه في كتابه أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين، تح: عبد الوهاب المنصور، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص23.

8 . نفس المصدر، ص34.

9 . كثيرا ما نقرأ في كتاب أخبار المهدي من هذه العبارات: "سيدنا المعصوم"، "الإمام المهدي ﷺ"، يراجع مثلا: ص11 و12 و16.

10 . محمد مهية بن يونس، **النقد السياسي للسلطة الحاكمة في المدونة الوسيطية للغرب الإسلامي دولة الموحدين نموذجا**، مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر- تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي، إشراف: لخضر بولطيف، جامعة المسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2020/2019م، ص45.

11 . أثبت البيذق لنفسه تسع غزوات مع ابن تومرت، وشارك البشير في سياسة التميز، كما خاض العديد من الحروب بعد وفاة المهدي. يراجع: المؤلف الأندلسي المجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، (ط1)، 1979م، ص116. البيذق، أخبار المهدي، المصدر السابق، ص 35 وما بعدها.

12 . البيذق، أخبار المهدي، المصدر السابق، ص 14 . 15 . 16.

13 . نفس المصدر ص11. 12. 13. 20. 21. 22.

14 . نفس المصدر، ص23.

15 . ومثال ذلك: قال البيذق عن ابن تومرت في سياق المناظرة الّتي جمعته وفقهاء المرابطين: "ودخل مع الفقهاء بالمذاكرة حتّى قهرهم القهر الكلّي". نفس المصدر، ص27.

16 . نفس المصدر، ص33. 42.

17 . كمال رجالين، المرجع السابق، ص262. 263.

18 . هو عبد الملك بن محمد بن إبراهيم المكنّى بأبي مروان وأبي محمد كذلك، أصله من مدينة باجة، واستوطن إشبيلية، كما وصف بالباجي حينا وبالإشبيلي في الحين الآخر، يصنّف كتابه "المن بالإمامة " ضمن المؤلفات الأندلسية، كما أنّه لم يعرف تاريخاً محدداً لوفاته. يراجع: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ابن الآبار، **كتاب الحلة السيراء**، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، (ط2)، 1985م، 154/2. عبد السّلام بن عبد القادر، ابن سودة المري، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، (ط2)، 1960م، 135/1. 136.

19 . يراجع مقدمة تحقيق **المن بالإمامة** لعبد الملك بن صاحب الصلاة، تح: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط3)، 1987م، ص56.

20 . بهذا الطول ورد عنوان مصنّف ابن صاحب الصلاة، في مقدمة التّحقيق الّتي أوردها عبد الهادي التّازي. ابن صاحب الصلاة، المصدر السابق، ص27.

21 . ومن صور ذلك وصفه لقتال عبد الرحمان بن تيجيت ـ المولى على قرطبة من طرف عبد المؤمن بن علي سنة (550هـ) ـ مع ابن مردنيش، فقال عنه "فدافعه مدافعة الفرسان الأبطال، أهل الوفاء بالبيعة للآمر العزيز في كل حال، وقاتله أشدّ قتال، ولاقى عنده ما يلقى الآساد عند حماية أبنائها الأشبال. نفس المصدر، ص66. ومن صور ذلك أيضاً وصفه لقتال عبد الرحمان بن تيجيت ـ المولى على قرطبة من طرف عبد المؤمن بن علي سنة (550هـ) ـ مع ابن مردنيش، فقال عنه "فدافعه مدافعة الفرسان الأبطال، أهل الوفاء بالبيعة للآمر العزيز في كل حال، وقاتله أشدّ قتال، ولاقى عنده ما يلقى الآساد عند حماية أبنائها الأشبال. نفس المصدر، ص66.

ـ ومن جُمل ترجمته ـ إلى حد المدح المخل للوصف . ما وصف به الفقيه أبو الحسن بن الإشبيلي (ت567هـ/1172م)، فقد قال فيه: "هو الخطيب المصقع بين يدي الخليفة الرضي أمير المؤمنين عند حضور الوفود، النّاطق بالفصاحة والبلاغة المنظومة نظم العقود، بادر إلى الأمر العالي على قدره وسبق إلى نيل علم الخلافة فناله حين ابتدر..وورد بحر العلم فارتوى منه بالسبق..". نفس المصدر، ص 160.

ـ وهكذا وصف بيعة أهل إشبيلية للخليفة عبد المؤمن بعد أن أمر "بجمع الوفود من كلّ البلاد وأن يدخلهم إليه بمجلسه العالي للسّلام ولتجديد البيعة الكريمة وتقبيل اليد المباركة". نفس المصدر، ص94.

22 . فكثيرا ما نقرأ: أعزّه الله، وأدامه الله، وجعل الجنّة مأواه، و... يراجع على سبيل المثال لا الحصر: ص127. 130.

23 . ويظهر ذلك مثلا في الصفحة 135، عقب انتصار الموحدين على نصارى ابن مردنيش بالعدوة الأندلسية. وكذلك في ترجمته لأبي الحسن بن الإشبيلي (ت567هـ/1172م) في الصفحة 160.

24 . هو أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المالكي، مؤرخ وأديب أريب، ولد بمراكش سنة 581هـ/1185م، أي؛ في أولى أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، قرأ القرآن وكان من المبرّزين في علومه، سافر إلى الأندلس والتقى جمع من العلماء الأفاضل، صاحب الأدباء والفقهاء والقضاة والوزراء وحتّى الخلفاء، لكن لم نقف على سبب واضحا لهجرته إلى بلاد المشرق . أين ألّف كتاب المعجب بطلب من أحد خاصة وزراء الخليفة الناصر العباسي .لكنّه من الأرجح أنّ السبب عائد إلى الاضطرابات السياسية الّتي شهدتها الدولة الموحدية، كما لم يُعرف لعبد الواحد المراكشي مكان أواخر أيامه؛ أكان بالبلاد المشرقية أم المغربية. يراجع:

- سالم السّيد عبد العزيز، **تاريخ المغرب في العصر الوسيط**، مؤسسة شباب، الجامعة الإسكندرية، مصر، 2008م، ص108.

- Lévi provençal : **Extraits des historiens arabes du maroc** ,3eéd, paris, 1948, p :75-76.

. خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، (ط15)، 2002م، 176/4.

ـ عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه وصححه: محمد سعيد العريان، ومحمد العربي العلمي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، مصر، (ط1)، 1949م، ص 245. 308. 309. 312. 326. 328.

25 . يورد عبد الواحد المراكشي في خاتمة كتابه عبارات يوجّهها للوزير الذي طلب منه كتابة شيء عن بلاد المغرب، فيقول: "وقد نجز بحمد الله جميع هذا الإملاء حسبما رسمه مولانا.. فإن وافق غرض مولانا ولاق بنفسه وأتى وفق مراده، فهي البغية الكبرى والأمنية العظمى الّتي لم أزل أكدح لها وأسعى فيها وأسابق إليها..". يراجع عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص376.

26 . وقد كان هذا الكاتب محمد بن الفضل . من أصحاب عبد الواحد، وكان له وسيطا للوصول إلى والي إشبيلية . إبراهيم بن أبي يوسف .. يراجع: نفس المصدر، ص308. ومن الكتّاب أيضا: أبو عبد الله محمد بن يخلفتن بن أحمد الفزازي؛ والذي تشوّق عبد الواحد إلى تقبيل يداه. يراجع: نفس المصدر، ص312.

27 . حين عرض عبد الواحد المراكشي لأبناء الخليفة أبي يعقوب يوسف أورد كلاما في حقّ أحدهم . يحيى ابن يعقوب . يظهر فيه نوعاً من التقرب إلى الخاصة ومجاملتهم، فيذكر أنّ يحيى هذا كان له صديقا، ولم يرى في الملوك ولا السّوقة مثله، وكان . أي يحي . يناديه بأخي وصديقي وفي بعض الأحيان بوليّي، ثمّ يختم ويقول فيه: "وحلاني بما لم أكن أستحقه". يراجع: نفس المصدر، ص 245.

28 . يورد عبد الواحد المراكشي ضمن القضاة الّذين كانوا مع الخليفة أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف؛ القاضي أبا عمران موسى بن عيسى بن عمران، ويقول فيه: "أبو عمران هذا لي صديق، لم أر صديقا لم تغيره الولاية غيره، ولم يزل يعاملني بما كان يعاملني به قبل ذلك، لم ينقصني شيئا من برّه، ما لقيته قط في مركبه إلّا سلّم عليّ مبتدئاً وجدّد لي برّا؛ جزاه الله عني أفضل الجزاء". يراجع: نفس المصدر، ص313.

29 . يقرّ عبد الواحد المراكشي أنّ إبراهيم بن أبي يوسف أحد إخوة الخليفة ابو عبد الله محمد بن أبي يوسف، أنّه كان محباً له، وتصله أموال منه، وكان بدوره ينشد له أشعار المدح والثناء، وعندما كان الخليفة واليّاً على قرطبة يقول لعبد الواحد: "والله إنّي لأشتاقك إذا غبت عنّي أشدّ الشوق" يراجع: نفس المصدر، ص308 . 309.

30 . ممّا صرّح به عبد الواحد المراكشي في خاتمة كتابه أنّه تحرّى الصّدق، وتوخّى الإنصاف، واجتهد في ألّا ينقص أو يزيد في حقّ أيّ أحد. يراجع: نفس المصدر، ص333.

31 . يراجع مثلا قصّته مع أحد الصالحين بتلمسان الذي سجن وتدخله البطولي للإفراج عنه. نفسه، ص183 . 184.

32 . ملخص القصّة؛ هو ائتمار بعض من قرابة ابن تومرت . أيت أمغار . بقتل عبد المؤمن بن علي وتنصيب أنفسهم حكّاما على البلاد كونهم أحقّ وأولى النّاس بذلك، فتّفقوا على قتل عبد المؤمن ليلا في خباءه، ولكن تنبّه للأمر خيار صحب عبد المؤمن . إسماعيل بن يحيى الهزرجي . "فأتى عبد المؤمن فقال له: يا أمير المؤمنين، لي إليك حاجة! ... قال: تخرج عن هذا الخباء وتدعني أبيت فيه! ولم يعلمه بمراد القوم ... فخرج عنه وتركه له ... فدخل عليه أولئك القوم فتوله بالحديد حتّى برد" ضنا منهم أنّ الميت عبد المؤمن بن علي. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 233 . 234.

33 . عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 328.

34 . نفس المصدر، ص328.

35 . لم نقف على ترجمة جامعة لابن القطان الابن سوى محاولة محمود علي مكي، مبينا في ذلك الاختلافات التي وقع فيها المؤرخون حول اسمه، وزمان طلبه العلم. يراجع: مقدمة تحقيق كتاب نظم الجمان، المصدر السابق، ص 26 .. 32.

36 . كثيرا ما يستعمل ابن القطان في كتابه كلمات لها إيحاءات بالولاء العظيم لابن تومرت ولدولة الموحدين، فنجده يلقب
ابن تومرت بالمهدي، والمعصوم، والإمام، والمهدي المعلوم، ولا يذكره إلّا مترضيّاً، أومترحماً عليه، أمّا دولة الموحدين فيصفها: بالمباركة، والمجيدة، والمحفوظة ..الخ.

37 . ابن القطان الأب هو من أهل مدينة فاس، وأصله من قرطبة...كان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لأسماء رجاله، وأشدّهم عناية بالرواية، مع التّفنن في الرواية والدراية، وجمع برنامجا مفيدا في مشيخته، ورأس طلبة العلم بمراكش. يراجع:
أحمد بن القاضي، المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الإعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1973م، 2/470 . 471.

38 . نفس المصدر، 2/471.

39 . ابن القطان، المصدر السابق، ص 114.

40 . نفس المصدر، ص81.

41 . نفس المصدر، ص187.

42 . نفس المصدر، ص116 . 117.

43 . نفس المصدر، ص97.

44 . محمد بن عبد السلام بن عبود، **تاريخ المغرب**، دار الطباعة المغربية، تطوان، المغرب، (ط2)، 1957م، ص104.

45 . ابن القطان، المصدر السابق، ص98 . 99 . 100.

46 . محمد بكر إسماعيل، كتاب دراسات في علوم القرآن، دار المنار، القاهرة، مصر، (ط2)، 1999م، ص53

47 . ابن القيم الجوزية، **إعالم الموقعين عن رب العالمين**، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1973م، 1/87 . 88.

48 . فقد قال ابن القطّان في حقّ ابن تومرت: "هو الإمام المهدي المنتظر الموعود . ﷺ . وهذا أمر واضح بيانه، وصحّ برهانه، وسطع ضياؤه.." يراجع: ابن القطان، المصدر السابق، ص100.

49. نفس المصدر، ص98.

50. نفس المصدر، ص98.

51. نفس المصدر، ص99.

52. حادثة التميّز الّتي جرت وقائعها سنة (519هـ/1125م) هي من أعظم المجازر الإنسانية الّتي حدثت في تاريخ المسلمين، كان بطلها المهدي بن تومرت؛ ساعيًا من خلالها التمييز بين أتباعه .عن الطريق الشكّ والحدس .مستعملا على ذلك أحد أصحابه ألا وهو البشير الونشريسي، فقد تخلّص من كلّ شخص شالٍّ في ولائه، أو رافضٍ لدعوته، وأبقى منهم كل مفتتن بدعوته، غير مهدّد لعرشه، أو قادر على مقاتلة المرابطين. يراجع: البيذق، المصدر السابق، ص41. ابن القطان، المصدر السابق، ص156. عز الدين ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط4)، 2002م، 9/ 198.200.

53. ابن القطان، المصدر السابق، ص147.

54. نفس المصدر، ص80.

55 - الحديث مبتور الآخر، وهو في صحيح مسلم على هذا النحو: «صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». يراجع: أبو الحسن، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط1)، 1991م، كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات، حديث رقم: 2158، 3/1680.

56. هذا الواقع نقرأه عند البيذق في كتابه أخبار المهدي وبداية دولة الموحدين، ص13. 14. 20. 21. 22. 25.

57. عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص177.

58 .لم نجد الحديث بنفس الصيغة الواردة في المتن، لكن من الصيغ المتقاطعة معه إلى حدّ بعيد ما نقرأه في صحيح مسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «يوشك إن طالت بك مدّة، أن ترى قوماً في أيديهم مثلُ أذناب البقر، يغدون في غضب الله، ويروحون في سخط الله». مسلم، المصدر السابق، كتاب: الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبّارون، والجنّة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث: 2857، 4/2194.

59. ابن القطان، المصدر السابق، ص95.

60 .لم يرد الحديث بهذه الصيغة في كتب الحديث، ولعلّ ما يتقاطع معه إلى حد كبير ما وقفنا عليه من حديث في سنن الترمذي، قال صلى الله عليه وسلّم: «أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي فمن غشي أبوابهم فصدّقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض ومن غشي أبوابهم أو لم يغش فلم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض يا كعب بن عجرة الصلاة برهان والصوم جنة حصينة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار يا كعب بن عجرة إنه لا يربو لحم نبت من سحت إلا كانت النار أولى به». محمد بن عيسى، الترمذي، **الجامع الكبير**، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1996م، باب ما ذكر في فضل الصلاة، رقم الحديث: 614، 1/201.

61. ابن القطان، المصدر السابق، ص95.

62 .الحديث في صحيح مسلم، ولكن لم يرد بهذه الصيغة المضطربة، وهو كالآتي: قال صلى الله عليه وسلّم: «السلام عليكم، دار قوم مؤمنين، وإن شاء الله بكم لاحقون، وددتُ أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال :أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد قالوا: كيف تعرف من لم يأتِ بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال :أرأيت لو أن رجلاً له خيل غرٌ محجلة بين ظهر خيل دهم بهم، ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله! قال :فإنهم يأتون غرًا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض لَيُذادَنَّ رِجالٌ عن حوضي كما يُذادُ البعِيرُ الضَّال أُنادِيهِم ألا هَلُمَّ فيقال: إنَّهم قد بَدَّلوا بعدك فأقول سحقًا سحقًا». مسلم، المصدر السابق، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم الحديث: 249، 1/218.

63. ابن القطان، المصدر السابق، ص96.

64. الحديث لم يرد بهذه الصيغة، بل انفرد به مسلم في صحيحه، وهو على النحو التالي: قال صلى الله عليه وسلّم: «بادروا بالأعمال فتنا، كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا». مسلم، المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، رقم الحديث: 118، 1/110.

65. ابن القطان، المصدر السابق، ص98.

66. لم نقف على هذا الحديث في الكتب المتخصصة، سوى ما رواه الطبراني، قال صلّى الله عليه وسلّم: «أوثق عرى الايمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عز وجل». يراجع: **جامع الكتب الإسلامية**، باب في فضل الحب في الله والبغض في الله، 1/4.

67. ابن القطان، المصدر السابق، ص95. 96.

68. الحديث بنفس الصيغة عند أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، البخاري، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، (ط1)، 2002م، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم: 100، ص38.

69. ابن القطان، المصدر السابق، ص97.

70. محمد بن عبد السلام بن عبود، المرجع السابق، ص104.

71. يقول فيها: "وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهات من النّساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنّساء. يراجع: ابن القطان المصدر السابق، ص97.

72 - البخاري، المصدر السابق، كتاب اللباس، باب: المتشبهون بالنّساء، والمتشبهات بالرجال، رقم الحديث: 5885، ص1485.

73. ابن القطان، المصدر السابق، ص99.

74 . الحديث في صحيح البخاري على هذا النحو: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله». يراجع: البخاري، المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}، حديث رقم: 25، ص16.

75 -ومن جملة ما ذكره ابن أبي زرع الفاسي في هذا السياق: "كان يأتيه بعض أتباعه وتلاميذه، وتكاثر عليه الناس، وامتلأت قلوبهم له محبة، ومهابة وتعظيما". علي ابن أبي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور، الرباط، المغرب، 1972م، ص175.

76. نفس المصدر، ص172. 173.

77 - ابن القطان، المصدر السابق، ص100.

78. الحديث في صحيح مسلم بهذه اللّفظة، قال رسول الله ﷺ: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل». يراجع: مسلم، المصدر السابق، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأنّ الإيمان يزيد وينقص وأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجبان، حديث رقم: 50، 1/69. 70.